# شذرات من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم

الأستاذ الدكتور

**عبد الفتاح عاشور**

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

ورئيس قسم الدراسات الإسلامية

كلية التربية جامعة الأزهر

حقوق الطبع محفوظة

دار البيان

٢٠٠٠م

**دار لبنان**
للطبع والنشر والاستيراد والتصدير
بطاقة ضريبية رقم ١٢١٧٠١ م. نصر ثان
ملف ضريبي : ٥/٤٢/٢٤/٢٦٥

قسم البيع : حي الزهور . مدينة نصر / القاهرة . ت : ٤٠٤٠٢٦٨
عمارات الجبل الأخضر أمام نادي الكتة . مدينة نصر . القاهرة . ت وفاكس : ٤٨٢٢٤٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

## المقدمـــــــــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدًا عبده ورسوله ، وصفيه وخليله ، ونبيه وحبيبه ، بلغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للجماعة ، وجاهد في الله حق جهاده ، وعبد ربه حتى أتاه اليقين ، فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به وعزَّروه ونصروه ، واتبعوا النور الذي أُنزل معه ، أولئك هم المفلحون .

" وبعـــــــــد "

فهذه " شذرات من التفسير الموضوعي للقرآن الكريم " أبرزَتْ عظمة الإسلام وبينت أنه الدين الحق الجدير بالبقاء ، وأنه لا سعادة للإنسانية إلا في ظل ما جاء به هذا الدين العظيم من عقيدة تسكب في النفس الأمن والاستقرار وتُشْعِر الإنسان بقيمته في هذه الحياة ، وتربط بدايته بنهايته في حياة هادئة وادعة فيها الرضا عن الله الرحيم الرحمن، ومن نبع هذه العقيدة تأتي الشريعة طريقًا لحياة مستقيمة واضحة تحدد علاقة الإنسان بربه في عبادات فيها الخشوع والخضوع لله رب العالمين يتحرر بها العبد من كل عبودية لغير مولاه ، كما ترسم الشريعة منهجًا لا يطاوله منهج في علاقة الناس بعضهم ببعض فيما عُرف في الفقه الإسلامي بالمعاملات والمواريث والنكاح والجهاد وما إلى ذلك مما هو مفصل في شريعتنا الغراء ، وعلى أساس من عقيدة الإيمان يقوم بناء

أخلاقي مشرق بنور الوحي الإلهي مقصده ربط الإنسان بأخيه الإنسان برباط المحبة والأخوة الصادقة، وما في ذلك من صدق ،وأمانة ، ووفاء، ونجدة وكرم ومروءة ، وطيب لسان، وحسن عشرة، وأداء حقوق.

ولعل تيسر لنا إبراز هذه المعاني من خلال دراسة ربما كانت جديدة في الدراسات القرآنية عُرِفَتْ بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم . فيها يتناول المفسر موضوعًا أو قضية من خلال الآيات القرآنية يجمعها من كتاب الله فإن القرآن يفسر بعضه بعضًا . وما أُجمل منه في مكان فصِّل في مكان آخر . وما أطلق هنا قُيِّد هناك ، وقد يحتاج المفسر إلى ما جاء في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن السنة هي المذكرة الإيضاحية والبيان الجلي لما جاء في القرآن الكريم قال تعالى : { **وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**}(١) وحينذاك يبدو له الموضوع مكتمل البناء يقسمه إلى عناصر ، يؤدي كل منها للآخر ، وبذلك يشرق القرآن على دنيا الناس متلألئ القسمات ، واضح المعالم ، يقود خطاهم إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة ، وقد ساهمت أقلام مخلصة ، في تقديم هذا اللون من التفسير ، وتناولت كثيرًا من القضايا ، لا يتسع المقام لذكرها وذكرهم ، فجزاهم الله خيرًا وتقبل منهم هذا الجهد الطيب ، وهاأنذا أُدلي بدلوي معهم ، وأغترف من بحر القرآن العظيم كما اغترفوا ، أروي معهم ظمأ أمتنا بل ظمأ الإنسانية إلى معرفة طريق الحق ، والوصول إلى شاطئ الأمان ، بعد أن شقي الإنسان ببعده عن ربه ، وهجره للقرآن منهجًا وطريقًا، وسوف أتناول بإذن الله في هذه

---

(١) - النحل ١٦ / ٤٤

الدراسة القرآنية في التفسير الموضوعي بعض الموضوعات ، كالإنسان في القرآن ، والمرأة في القرآن والأخلاق في القرآن، وما إلى ذلك من موضوعات تتناسب في اختيارها وعدد صفحاتها مع ما نريده من إبراز لعظمة القرآن وتكامل موضوعاته التي تتناول كل جوانب الحياة، فلا تترك منها جانبا إلا وهو مشرق بنور الله ، ينير للإنسانية طريق السعادة في الدنيا والآخرة، ولكن يبدو أننا بحاجة إلى نبذة مختصرة بين يدي هذه الشذرات نتعرف فيها على التفسير الموضوعي ما هو ؟ وكيف نشأ ؟ وكيف وصل إلى ما هو عليه الآن حتى أصبح معلَمًا واضحًا يدعو الكثير من الباحثين إلى أن يجعلوه منطلقًا لتقديم الفكر الإسلامي في حُلَّة مشوقة بآيات القرآن الكريم . أسألُ الله أن يجعل هذا القرآن ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همومنا وذهاب غمومنا وأن يفتح به قلوبًا ويشرح به صدوراً تحمل رايته ، وتجمي أركانه ، وتنشره في العالمين ، وأن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتنا ، ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير . والحمد لله رب العالمين.

**أ. د / عبد الفتاح عاشور**

## بَيْنَ يَدَيِ الشَّذَرَاتِ

شذرات من التفسير الموضوعي للقـــرآن الكريـــم " ؟؟ مـــا هـــي الشذرات؟ وما هو التفسير؟ وهل هناك فرق بينه وبين التـــأويل ؟ ومـــا معنى أن التفسير موضوعي ؟ تساؤلات نجيب عليها بيـــن يـــدي هـــذه الدراسة ، قبل أن نلمح إلى نشأة التفسير الموضوعي وتطوره ، ووصوله إلى ما هو عليه الآن ..

يقول ابن منظور : " الشَّذْرُ : قطع من الذهب يُلْقط من المعدن مـــن غير إذابة الحجارة ، ومما يصاغ من الذهب قرائد يفصـــل بـــها اللؤلـــؤ والجوهر "(١) وقريب منه قول صاحب القاموس المحيط : " ( الشَّـــذْر ) قِطَعٌ من الذهب تُلْتقط من معدنه بلا إذابة ، أو خرز يفصل بها النظم ، أو هو اللؤلؤ الصغار "(٢) فنحن إذَنْ سنلتقط من كنوز القـــرآن وجواهـــره ولآلئه آيات ننضدها ، ونظمها عقوداً تأخذ بالقلوب والأبصار ، حين تبدو لنا هذه الآيات وقد جُمعتْ تحت عنوان واحد، فـــي موضـــوع متكـــامل، يرشدك إلى أن هذا القرآن من عند الله .

فما كان لكلام متفرق في ثلاث وعشرين سنة ، يكتب جزء منه كلما اقتضت المناسبة أو عَنَّ لصاحبه أن يكتب شيئًا ما، ثم يكون في النهايـــة موضوعًا له قيمته ، إلا أن يكون هذا كلام الله العليم الخبير الذي أنـــزل هذا الوحي على نبيه محمد صلى الله عليه وســـلم مفرقًـــا عـــبر الأيـــام

---

(١) لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظـــور الأفريقـــي المصري م/٤ مادة " شذر "ص ٢٢٢٠ط دار المعارف .

(٢) القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزا بادي جـــ٢ صـــــ٥٧ ط مؤسســـة الحلبي وشركاه بالقاهرة .

والليالي، تنزل منه السورة أو الآيات أو الآية أو بعض الآية فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لكُتَّاب الوحي : ضعوا هذه في السورة التي يذكر فيها كذا فلما اكتمل القرآنُ نزولاً ورتَّبه جبريل بأمر من الله في العرضة الأخيرة في رمضان من العام العاشر من الهجرة بدا هذا القرآن محكم السَّرد ، مترابط الحلقات ترتبط كل آية بسابقتها ولاحقتها ، وتؤدي كل سورة لما بعدها في تناغم وتناسق فسبحان من أنزله " قرآنًا عربيًا غير ذي عوج لعلهم يتقون " .

وكان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عما خفي عليهم من معاني هذا القرآن وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبين لهم ذلك بل كان يوضح لهم ما جاء فيه مجملاً كما كان من تفصيله لأحكام العبادات وكثير من ألوان المعاملات ، وما إلى ذلك مما يحتاج إلى بيان ، وهذا هو التفسير في معناه اللغوي : فإنه في اللغة : الإيضاح والبيان ، أما معناه الاصطلاحي عند علماء علوم القرآن فقد عرفوه بتعريفات عدة أقربها أنه : علم يُبْحث فيه عن أحوال القرآن الكريم من حيث دلالته على مراد الله بقدر الطاقة البشرية . ومثل هذا التعريف قد يصدق على ما أثر عن غير رسول الله صلى الله عليه وسلم واجتهد فيه الصحابة أو التابعون ليبينوا للناس ما خفي عليهم من معاني القرآن ، وقد يصدق كذلك على ما ذكره مَنْ بَعْد هؤلاء فيما عرف بالتفسير بالرأي، لكن ما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس من هذا القبيل فهو ليس بحثًا عن أحوال القرآن وما فيه من ألوان الهداية والبيان من حيث دلالة ألفاظه وعباراته على مراد الله تعالى بقدر الطاقة البشرية للرسول صلى الله عليه وسلم ، إنما بيانه صلوات الله وسلامه عليه للقرآن هو الشق الثاني للوحي ، لأنه

كما قال تعالى : {وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى،مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى،وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى،إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى،عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى } (١) وفي الحديث " ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه "(٢) وعن المقدام بن معْد يكرب أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يوشك الرجل متكئًا على أريكته يُحدَّثُ بحديث من حديثي فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله عز وجل فما وجدنا فيه من حلال استحللناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، ألا وإن ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله ..."(٣)

ولذلك كانت طاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم طاعة لله ، قال تعالى : "مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ"(٤) وكان الأمر من الله بالأخذ عنه – أمرًا وتركًا كما قال سبحانه : {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا}(٥)

فاتضح لنا من هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم مُبيِّنٌ للقرآن ومفصل له ، وبيانه وتفصيله بل ما أضاف من أحكام غير ما جاء في القرآن إنما كان ذلك كله وحيًا من الله ، وليس من قبيل إعمال الفكر وإجالة النظر في الآيات لبيان معناها بعد تحصيل جملة من العلوم والمعارف كما هو الشأن فيمن فسروا كتاب الله بقدر طاقتهم البشرية حتى إنهم حين ينتهون من تناولهم للآيات يقولون : والله أعلم .

---

(١) النجم ٥٣ / ١-٥ .

(٢) رواه أبو داود جـ٤ صـ ٢٧٩ .

(٣) رواه ابن ماجه ٦/١ ، وأبو داود ٢٧٩/٤ ، والبيهقي ٥/١

(٤) النساء ٨٠/٤

(٥) الحشر ٥٩ / ٧

لأن هذا كان منهم اجتهاداً في فهم كلام ربهم بحسب ما اهتدوا إليه في دراستهم ونظرهم في الآيات الأخرى وفيما بلغهم من سنة رسولهم صلى الله عليه وسلم أو ما أثر عن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فهم الذين شاهدوا نزول هذا القرآن وعاشوا أسباب نزوله والمناسبات التي جاءت فيها الآيات ، إلى غير ذلك من دلالات الألفاظ على معانيها ..

وإذا كنا قد عرفنا ما هو التفسير لغة واصطلاحًا ، وعرفنا أن بيان رسول الله صلى الله عليه وسلم للقرآن تفسير بالمعنى اللغوي وهو البيان والإيضاح ، لا بالمعنى الاصطلاحي الذي تعارف عليه علماء التفسير وعلوم القرآن ، فلنعرف أيضًا ما هو التأويل لغة واصطلاحًا ، وهل هناك فرق بينه وبين التفسير ؟

والتأويل لغة كما يقول الجوهري : تفسير ما يؤول إليه الشيء ، مأخوذ من الأول وهو الرجوع ، تقول آل الشيء يؤول أوّلا ومآلاً بمعنى رجع(١)

أما في الاصطلاح فإن أقرب ما قيل فيه ما ذكره البغوي وغيره إذْ يقول : التأويل صرف الآية إلى معنى موافق لما قبلها وما بعدها تحتمله الآية غير مخالف للكتاب والسنة من طريق الاستنباط(٢) .

وما أرى إلا أن التفسير كذلك فهو غوص في بحار القرآن لاستخراج لآلئه ، لا الوقوف عند ظاهر الآيات دون النظر إلى سياقها

---

(١) انظر لسان العرب لابن منظور مادة أول ١٣ / ٣٣

(٢) الإتقان في علوم القرآن ٢ / ٢٢٢

وأسباب نزولها وما تدل عليه ألفاظها ، وهذا هو الذي قاله مجاهد تلميذ ابن عباس رضى الله عنه ، وسار عليه الإمام الطبري في تفسيره فهو حين يذكر الآية ليفسرها يقول : القول في تأويل قوله تعالى كذا ، وتأويل كذا ، وبعد أن يذكر رأيه في الآية يقول : وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل ، فيذكر من أقوالهم ما يؤيد ما ذهب إليه ، وهذا هو الزمخشري يسمي كتابه : " الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، ومن بعده الإمام البيضاوي سمى تفسيره : أنوار التنزيل وأسرار التأويل ، والقاسمي سمى تفسيره : محاسن التأويل . مما يدل على أن التفسير والتأويل بمعنى واحد ، وإن قال بغير ذلك بعض العلماء في القديم والحديث . مما لسنا في حاجة إلى ذكره ، لأننا نقدم دراسة مختصرة بين يدي موضوعات سندرسها من خلال ما يسمى بالتفسير الموضوعي ، وهذا يجعلنا نستعرض ألوان التفسير بحسب مناهج المفسرين لنرى موقع التفسير الموضوعي من هذه المناهج ، وأنواع التفسير أربعة :

١- التفسير الإجمالي : وفيه يعرض المفسر لجملة من الآيات مبيناً ما فيها من دروس وعبر ، دون أن يخوض في تفصيل يحلل الكلمات أو يناقش الأحكام إنما هو فقط يذكر هداية الله في كتابه ، ومن ذلك تلك الأحاديث التي تقدَّم للتلاوة القرآنية في الإذاعة أو التليفزيون ، أو تلك التي تلقى للعامة في المساجد ونحوها .

٢- التفسير التحليلي : وفيه يقف المفسر أمام الآية أو الآيات يذكر أسباب نزولها إن كان لها سبب نزول ويربطها بالآيات السابقة ويتناولها كلمة كلمة ذاكرًا لمعنى كل كلمة ومبيناً موقعها الإعرابي ، وقد يتناول ما

في الآية من أحكام إن كانت الآيات تحمل بعض الأحكام ، وكل مفسر تغلب عليه ثقافته ونزعته ، فالمحدث تغلبه صنعته في علم الحديث فيهتم بالأسانيد والآثار واللغوي يهتم باللغة ، والبلاغي يوجه همه إلى وجه البلاغة في القرآن ، والفقيه يصول ويجول في بيان آراء الفقهاء وقد يرجح مذهبه ، وهكذا وجُلّ كتب التفسير من هذا اللون ومنها تفسير الطبري وابن كثير والزمخشري والبيضاوي والقرطبي وغيرهم من المفسرين إلى يوم الناس هذا ، يتبعون القرآن الكريم من أوله إلى آخره ، أو سورة من سوره ، أو جملة من آياته وفق هذا المنهج الذي ذكرناه .

٣- التفسير المقارن : وفيه يجمع المفسر أقوال المفسرين في آية أو جملة من الآيات ليقارن بينها مرجحًا منها ما يرى أنه أقرب إلى هداية القرآن ودلالاته وذلك كمن يجمع أقوال المفسرين في آيات الصيام في سورة البقرة ، أو آيات الحج في سورة الحج ، وهذا اللون قريب من التفسير الموضوعي إلا أنه يتوسع في النقل من أقول أئمة التفسير ويقارن بينها ويختار منها ما ترجحه الأدلة . وإن كان هذا من خلال موضوع واحد .

٤- التفسير الموضوعي : ولعل فيما سبق من سطور ما يرشد إلى هذا اللون ، إذ هو جمع للآيات في موضوع واحد ، والنظر فيها لوضع كل مجموعة منها في عنصر من عناصر الموضوع ، ثم يأخذ المفسر في عرض موضوعه من خلال هذه العناصر ، مستعينًا في ذلك بكل ألوان التفسير السابقة :-

فقد يحتاج إلى إجمال معنى الآية ، أو بَسْطها ، أو استطلاع آراء المفسرين فيها ليصل إلى تحديد ما ترشد إليه هذه الآيات ، وبين يديه هَدْيُ النبوة وما أثر عمن شاهدوا نزول هذا القرآن وأدركوا أسراره ،

وفهموا مراميه وهؤلاء هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحين يستوعب المفسر هذه العناصر يكون قد عرض موضوعا متكاملاً،مشرق القسمات يزود عن حياض القرآن كيد الكائدين ، وشبه المبطلين ، والمكتبة الإسلامية فى حاجة ماسة إلى هذا اللون من التفسير إذ لا توجد منه سوى أبحاث متناثرة ، لا يقوم الكثير منها على منهج علمي واضح ، وربما كانت أقرب إلى الدراسات القرآنية ، أو الدراسات الإسلامية العامة أو ما شابه ذلك . وإذا كنا نجد بكثرة موسوعات فى التفسير التحليلي فإننا نأمل أن نجد ذلك في التفسير الموضوعي ، حين تُصنف موضوعات القرآن ، وترتب ، ويتناولها المتخصصون بالشرح والإيضاح دون الخروج على ما جاء في آيات القرآن إلى مباحث فرعية قد تطغى على الهدف الذي من أجله كانت الدراسة كما حدث ذلك في التفسير التحليلي حين تحول التفسير إلى مباحث في اللغة أو الفقه أو الفلسفة أو ما شابه ذلك عند كثير من المفسرين .

وإذا ما قيل :" التفسير الموضوعي" فإنه يطلق على هذا اللون من التفسير وإن كان هناك من أدخل في التفسير الموضوعي ما يسمي"بالوحدة الموضوعية في السور القرآنية" بمعني أن كل سورة لها هدف أو عدة أهداف تدورآيات السورة كلها حول هذا الهدف أو هذه الأهداف، وهذا يختلف عما عرف بعلم المناسبات حين يربط المفسرون بين سورة وسورة أو آية وآية لأن هذا كما تري بحث في أجزاء السورة وذاك بحث في مجمل السورة، وإن كان الباحث قد يحتاج إلي هذا العلم كما يحتاج إلي ألوان التفسير الأخرى ليشرح الهدف أو الأهداف التي يقوم عليها بناء السورة التي يريد تفسيرها تفسيرا موضوعيا.

## نشأة التفسير الموضوعي وتطوره :

عرفنا أن التفسير الموضوعي معناه : معالجة موضوع واحد تحمله آيات مبثوثة في كتاب الله ، تجمع هذه الآيات وتقسم إلى عناصر يؤدي كل منها للآخر ، وبذلك تتضح جنبات القضية وضوحًا تامًا ، ولا يبقى فيها مجال لشبهة أو خفاء ..، أو هو معالجة موضوع واحد أو عدة موضوعات في سورة من سور القرآن ، فيما عرف بالوحدة الموضوعية في السور القرآنية.

وقد أشرق هذا اللون مع غيره من ألوان التفسير من يوم نزول القرآن الذي أتى في كثير من آياته يفسر بعضه بعضًا ، من ذلك ما أجمله في قوله تعالى **{وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ}** (١)

وفصله فيما نزل في سورة الأنعام **{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }** (٢)

ومن ذلك ما جاء مجملاً في قوله : **{ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ}** [٣] وقد فصل ذلك فيما ذكر من رسله وأنبيائه ..

وكثيرًا ما تنزل الآيات توضح بعض ما خفي على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا تبدو أهمية معرفة سبب النزول فهو يعين

---

(١) سورة النحل : ١١٨

(٢) الأنعام : ١٤٦

(٣) النساء : ١٦٤

على فهم المراد من الآيات ، إذا جمعت في موضوع واحد ، ومثال ذلك ما أخرجه الحاكم عن أُبَيٍّ بن كعب أنه لما نزلت في بيان عِدَد النساء آية سورة البقرة :{ **وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَنْ يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ**} [١] والآية الأخرى {**وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا**} [٢] قالوا: قد بقيت عِدَدٌ لم تذكر ، وهي عِدد الصغار والكبار فنزل قول الله : {**وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ**} [٣]

وفي السنة النبوية نلمح هذا الجمع بين الآيات لاستخلاص المعنى المراد، من ذلك " ما رواه الشيخان وغيرهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه الآية { **الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ**}[٤] شقَّ ذلك على الناس فقالوا : يا رسول الله : وأينا لا يظلم نفسه؟ قال : إنه ليس الذي تعنون ، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح:{**إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ**} [٥]

فالكلمة في القرآن قد يكون لها أكثر من معنى ، وجمعها يوضح المعنى المقصود كما نرى في هذا الحديث الشريف .

ومن ذلك ما جاء في السنة من قواعد تفسيرية كقوله صلى الله عليه وسلم " ويل : وادٍ في جهنم "(٦)

---

(١)البقرة ٢٢٨

(٢)البقرة ٢٣٤

(٣)الطلاق :٤

(٤)الأنعام : ٨٢

(٥)لقمان :١٣

(٦) رواه الترمذي بسند حسن من حديث أبي سعيد الخدري .

وكقوله صلوات الله وسلامه عليه : " كل حرف يُنكر من القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة "[1] إلى غير ذلك مما جاء في السنة المطهرة مما يبين أن اللفظة القرآنية إذا تتبعناها في القرآن الكريم قد يتحد معناها ، وقد يختلف ، وهو ليس اختلاف تضاد إنما هو اختلاف يؤدي في النهاية إلى أن يكون المعنى واضحًا كل الوضوح ..

وعلى هذا الدرب سار الصحابة والتابعون عليهم رضوان الله :

من ذلك ما كان من أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين أراد عمر أن يقيم حد الزنا على امرأة وضعت بعد زواجها بستة أشهر لأن العادة جرت أن تكون مدة الحمل تسعة أشهر ولكن عليًا ذكّره بقول الله تعالى :{ **وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا**} [2] مع قوله تعالى : { **والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين** } ومعنى ذلك أن المدة الباقية للحمل بعد الحولين ستكون ستة أشهر ، وبهذا يدرأ الحد عن المرأة ، فاستجاب لذلك عمر[3].

وهذا ما دعا العلماء في القرون الأولى وما بعدها إلى النظر في الآيات المتصلة بموضوع واحد لجمعها ودراستها ، فقد ألّف في الناسخ والمنسوخ : قتادة بنُ دعامة .السدوسي – المتوفي سنة ١١٨ هـ

وأبو عبيد القاسم بن سلام – المتوفي سنة ٢٢٤ هـ

وأبو جعفر النحاس – المتوفي في سنة ٣٣٨ هـ

وألف في معاني القرآن :أبو زكرياء الفراء–المتوفي سنة ٢٠٧ هـ

---

(١) رواه الإمام أحمد من حديث أبي سعيد أيضا .

(٢)الأحقاف : ١٥

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ؛ لابن حزم الظاهري ٢ / ١٢٥ .

وألف في غريب القرآن:أبو بكر السجستاني–المتوفي سنة ٣٣٠ هـ
والراغب الأصفهاني – المتوفي سنة ٥٠٣ هـ
وألف في إعجاز القرآن : الجاحظ المتوفي سنة ٢٥٥ هـ
والرماني المتوفي سنة ٣٨٦ هـ
والخطابي المتوفي سنة ٣٨٨ هـ
والباقلاني المتوفي سنة ٤٧١ هـ
والجرجاني المتوفي سنة ٤٧١ هـ
وألف في أسباب النزول:علي بن المديني المتوفي سنة ٢٣٤هـ
وأبو الحسن الواحدي المتوفي سنة ٤٦٨ هـ
وألف في أقسام القرآن :ابن قيم الجوزية المتوفي سنة ٧٢١ هـ
و ألف في أحكام القرآن الجصاص المتوفي سنة ٢٧٠ هـ
وابن العربي المتوفي سنة ٥٤٣ هـ

ولعلنا نلمح أن العلاقة العامة هي التي جمعت بين الموضوع الواحد كما نرى في أحكام القرآن فالمناسبة بين أطراف الموضوع أن الآيات تبحث في حكم شرعي وإن كان منها آيات في الصلاة وأخرى في الزكاة أو الصيام أو الحج ، ولهذا اتجه التفسير الموضوعي أخيرًا نحو التحديد الموضوعي ، وهذا يؤدي إلى دراسة الموضوع عن قرب وتجلية معانيه بصورة أوضح .

وقد أثنى على هذه الطريقة كثير من العلماء منهم الشيخ محمود شلتوت رحمه الله الذي قسَّم طرق التفسير إلى طريقتين ، انتقد أولاهما وهي الطريقة التقليدية التي يتتبع المفسر فيها القرآن آية بعد آية يفسر كل آية كما نرى في كتب التفسير المعلومة لنا ثم قال : أما الطريقة الثانية فهي أن يعمد أولاً إلى جمع الآيات التي وردت في موضوع واحد ، ثم

يضعها أمامه كمواد يحللها ويفقه معانيها ، ويعرف النسبة بين بعضها وبعض ، فيتجلى له الحكم ، ويتبين المرمى الذي ترمي إليه الآيات الواردة في الموضوع ، وبذلك يضع كل شئ موضعه ، ولا يُكسره آية على معنى لا تريده . كما يغفل عن مزايا الصَّوْغ الإلهي الحكيم ، وهذه الطريقة في نظرنا هي الطريقة المثلى ، وخصوصًا في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس ، بقصد إرشادهم إلى ما تضمنه القرآن من أنواع الهداية ، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة يشتغل بها الناس من غير أن يكون لها مُثُل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية ، ويتصل بحياتهم من شئون ، وهي تمكن المفسر من علاج موضوعات عملية كثيرة ، كل موضوع فيها قائم بنفسه ، لا يتصل بسواه، ولا يختلط بغيره ، فيعرف الناس موضوعات القرآن بعناوينها الواضحة ، ويعرفون مقدار صلة القرآن بحياتهم الواقعية " كالقرآن وأصول التشريع، والقرآن والعلم ، والقرآن والأسرة ، والقرآن وأدب الاجتماع ، والقرآن والسياسة ، والقرآن والتضحية ، والقرآن والبر . وهكذا "(١) .

وبدأت دراسات ناضجة في هذا الاتجاه الطيب . من ذلك ما كتبه الدكتور أحمد الشرباصي من موضوعات كان ينشرها في مجلة منبر الإسلام ومجلة الأزهر ومنها الموضوعات التالية : حديث القرآن عن اللغو ، العزة في القرآن الكريم ، الرجولة في القرآن ، القلة والكثرة في القرآن ، حديث القرآن عن التطيُّر ، حديث الفتوَّة في القرآن ، حديث الزلزال في القرآن ، حديث الغرور في القرآن ، حديث الترف في القرآن(٢) إلى غير ذلك من الأحاديث النافعة .

وقد كتب الزميل أ.د / عبد الستار فتح الله سعيد ، دراسة ممتعة في كتابه : المدخل إلى التفسير الموضوعي فأجاد وأفاد في تأصيل القواعد التي يشاد عليها هذا اللون من التفسير ، وجعل لذلك الباب الأول ، وفي

---

(١) الإسلام والعلاقات الدولية صـ ١٠ للشيخ محمود شلتوت .

(٢) انظر : قصة التفسير للدكتور أحمد الشرباصي صـ ١٦٤ ، ١٦٥

الباب الثاني قدم أمثلة تطبيقية لتلك القواعد ، فاختار الموضوعات التالية: الوحدانية والتوحيد ، المعية في القرآن الكريم ، التبعية في القرآن الكريم، العلم والعلماء في القرآن ، الآخرة ومشاهدها في القرآن.وللزميل ا.د/ مصطفي مسلم دراسة قيمة عنوانها/مباحث في التفسير الموضوعي، في ٣٧٣ صفحة، ولكثير من زملائنا وشيوخنا بحوث طيبة في هذا العلم : علم التفسير الموضوعي ، تأصيلا وأمثلة.

ولهذه الغاية شمَّر قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر – عن ساعد الجد ، واختار لطلاب الدراسات العليا موضوعات قرآنية غطت مساحة لا بأس بها من موضوعات القرآن،علي مستوي القرآن كله أو علي مستوي سورة من سوره ، وحذا حذو أصول الدين طلاب الدراسات العليا في الجامعات العربية والإسلامية وكثير من الكتاب والباحثين وأصبح الطريق ممهدًا لتحقيق الأمل في إخراج موسوعة تضمُّ تلك الموضوعات وتفهرسها لتكون في متناول الباحثين وعشاق المعرفة ، ونحن على هذا الدرب نسير بتوفيق الله منذ زمن بدْءا من رسالتي التي حصلت بها على الدكتوراه عام ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م وموضوعها : " منهج القرآن في تربية المجتمع " إلى غير ذلك من الكتب التي ألفتها منذ سنوات مضت ومنها : الحج فى القرآن الكريم دراسة موضوعية لآيات الحج فى القرآن الكريم عام ١٣٩٨ هـ – ١٩٧٨ م ، والمسلم في عالم اليوم ، بحوث في الأخوة والموالاة وبناء المجتمع المسلم، في جزءين عام ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م " ومن ذلك هذه الموضوعات التي سأعرض لها بإذن الله ، ومن أجلها قدَّمت هذه الشذرات ، دون التوسع في الموضوع ، إنما هي تقدمة تكشف لنا ما هو التفسير الموضوعي وكيف نشأ ؟ وكيف وصل إلى ما هو عليه الآن ، والله من وراء القصد ، وهو الهادي إلى سواء السبيل .